

اجتهادات تكديس الثروات

نجح اقتصاديون ومثقفون غربيون فى إعادة طرح مبدأ المساواة، وسعوا إلى إثبات أنه يتعارض مع أحد أهم معطيات الحياة، وهو وجود اختلاف طبيعى بين البشر.

لم يكن مبدأ المساواة موضع توافق، قبل ظهور هذا التيار الفكرى. لكن الجديد الذى قدمه أنه نقل الخلاف على المساواة من الفكر والفلسفة إلى العلم.

فقد تميزت مجادلاته بعمق غير مسبوق على نحو أتاح لأنصاره مقارنة الأفكار اليسارية والليبرالية، والإنسانية عامة، التى رفع كثير من أصحابها مبدأ المساواة إلى مرتبة سامية.

غير أن رافضى مبدأ المساواة لم يتمكنوا من تقديم جواب متماسك عن سؤال بسيط يتعلق بتفسير ميل أثرياء كثر فى العالم إلى تكديس ثروات بلا نهاية، ودون وظيفة تؤديها حين لا يكون أصحابها مستثمرين كباراً يضحون كل ما يربحونه فى توسيع مشاريعهم ونشاطاتهم، ويجدون سعادتهم فى التفوق على منافسيهم فى السوق، وليس فى تضخم حساباتهم المصرفية، وممتلكاتهم العقارية.

والفرق، هنا، مهم بين من ترتبط زيادة ثرواتهم بتوسع أعمالهم، ويسهمون بالتالى فى رفع معدل النمو وتوفير وظائف جديدة فى بلادهم، ومن يجمعون الأموال لتكريسها فتصبح زيادتها هدفاً فى ذاته. ويبدو

أصحاب الثروات التى تُستثمر وتُحقق قيمة مضافة حالة اقتصادية، فى حين يمثل أصحاب الثروات التى تُكُدى وتُكتنز، أو بعضهم على الأقل، حالة نفسية.

ويمكن ملاحظة هذا الفرق فى سلوك كل من الفريقين. الأثرياء الذين يستثمرون أموالهم، وقد لا تجد فى الحساب الشخصى لأحدهم مبالغ يُعتد بها، ليسوا جائعين إلى مزيد من المال، بخلاف أولئك الذين يُكُدىسونه ويسعون إليه بأى وسيلة.

ويُظلم وحوش الغابة حين يُقال عمن يركض وراء المال ولا يشبع إنه متوحش.

وحوش الغابة لا تبحث عن مزيد من الطعام إلا لحاجة بيولوجية ملحة، وما أن تسد جوعها حتى تكف عن السعى إلى الطعام إلى أن تجوع مرة أخرى، بخلاف من يبحثون عن مزيد من الأموال طول الوقت، ولا ينتهى جوعهم المتواصل إليه إلا بمغادرة الدنيا دون أن يأخذوا شيئاً منها معهم.

فأى عبث فى هذا النهم إلى المال، والتلذذ به؟